ملخص محاضرة

"التجديد في الفكر الإسلامي، رؤية معاصرة"

للمفكر الإسلامي الكبير سعادة الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا

الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

جدة، الثلاثاء ١ محرم ١٤٢٧هـ، ٣١ يناير ٢٠٠٦

اقتضت حكمة الله أن يختم الأنبياء والمرسلين بالرسول محمد ﷺ ، فجعل رسالته عالمية أبدية، كتب لها الخلود إلى قيام الساعة. وحيث إن الزمان إلى قيام الساعة قد يطول، وتواجه البشرية خلاله تحديات تختلف باختلافه واختلاف المكان، ومن طبيعة البشر الابتعاد عن هدي الوحي، فقد اقتضت حكمة الله أن جعل هذه الشريعة قابلة للتجديد، وتتضمن ميزات وخصائص تمكنها من التوافق المستمر لحاجات الناس، ومن أهمها القابلية للتجديد، فما هو مفهوم هذا التجديد؟ وكيف يكون؟ وما هو مجاله وحدوده وضوابطه؟ ومن هم المجددون؟

سلط الضوء على هذه القضايا المهمة سعادة المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، في محاضرة تفضل بإلقائها في منتدى الفكر الإسلامي بجدة التابع لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، بقاعة الاجتماعات بمقر منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، بعنوان: "التجديد في الفكر الإسلامي، رؤية معاصرة"، وقد حظيت بحضور كثيف من العلماء والمفكرين، ولقيت استحسانهم وإعجابهم. وقد جاءت المحاضرة انطلاقا من السياسة التي رسمها برنامج العمل العشري لمنظمة المؤتمر

الإسلامي، المقر من قبل مؤتمر القمة الاستثنائي المنعقد مؤخرا بمكة المكرمة، والذي حث على بذل جميع الجهود لعرض الصورة الصحيحة للإسلام بصفته دين الوسطية والاعتدال، وعلى التركيز على التعريف بدور الإسلام في المجتمع المعاصر.

ومعلوم بأن الفكر الإسلامي هو ما أنتجه المسلمون من علوم ومعارف واجتهادات على طريق تفسير الإسلام وفهمه وشرح أحكامه.

وقد بدأ المحاضر الكريم محاضرته **بتأكيد الحاجة إلى التجديد** في الفكر الإسلامي، وأنها لا تبرز إلا في مواجهة التحدي، كما أن التحدي لا يقوم به إلا من يستند لأصل ثابت يؤمن به، ومرجع صادق يستخدمه معيارا لتقدير الصواب والخطأ، مع اختلاف الزمان والأشخاص والحوادث. وأوضح حفظه الله بأن التحديات المعاصرة التي يواجهها المسلمون ليست بطارئة، بل إنهم وقعوا في تحد متواصل منذ بداية الإسلام، فقد اتُّهم رسولهم ﷺ من قبل منكريه بالسحر والضلال والجنون. وقد قام القرآن الكريم بالرد على هذه الافتراءات في آيات كثيرة منها: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور، ٢٩- ٣٤]. ومن هذا التصدي القرآني يتعلم المسلمون وجوب مواجهة كل تحد بالرد القاطع على حجج أصحابه، كما أن عليهم أن يبقوا يقظين للرد على كل كيد يحاط بهم.

ثم عرض المحاضر **ضوابط التجديد** فذكر بأن القرآن الكريم هو مرجعنا النهائي –بل الأول والأخير– والثبات عليه والاستمساك به هو سبيل الحياة، قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [٢٤، الأنفال]. كما ذكر بأن من الضوابط ما يتعلق بالمجتهد فلا بد أن يتحلى بالصبر بعد بذله الجهد في استنباط الأحكام، لقوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [٤٨، النجم].

وفي حديثه عن **مشروعية التجديد** في الفكر الإسلامي أثبت المحاضر أنه لا يكون إلا من داخله، وفي الإطار المسموح به شرعا، وفق ضوابط وأصول وحدود تنسجم مع أصول الشريعة ونصوصها ومقاصدها وقواعدها، وفي ظل الأصالة الإسلامية التي يفرق فيها بين ما يجوز اقتباسه وما لا يجوز، وبين ما يلاءم وما لا يلاءم، حتى لا يلج هذا الباب من ليس أهلا له، ولا يساء استخدام هذا المصطلح وتتجاوز أحكام الشريعة بحجة التطور والتقدم.

وأشار إلى أن الحديث عن التجديد ليس بدعا في ثقافتنا الإسلامية، ولا هو اختراع احتجنا إليه لضعفنا المادي العسكري والاقتصادي، أو ضعفنا المعنوي، بل مفهوم التجديد قديم متأصل منذ عهد النبوة نفسه.

ومما يجدر ذكره بأن أهم **دواعي التجديد** في الفكر الإسلامي هو وجود أحكام بنيت في السابق على العرف، وإنّ تغيّر العرف يقتضي تجديد تلك الأحكام السابقة المبنية عليه بمقتضى العرف الجديد لتتحقق مصالح الناس في الحياة المعاصرة، فيكون التجديد مطلوبا، عملا بمقتضى المصلحة واليسر والسماحة ورفع الحرج التي قام عليها التشريع الإسلامي. ولعدم كفاية نصوص وأحكام صريحة تعتبر نصا في القضايا المستجدة المالية والطبية وغيرها.

وإشارة **لأهم التحديات** التي تواجه قضية تجديد الفكر الإسلامي، والتي رغب تسميتها "بتحدي الهوية الإسلامية" نبه الدكتور العوا حفظه الله إلى أن أعظمها تتمثل في التعامل مع الغرب بجناحيه: **السياسي العسكري، والفكري الثقافي**، فالغرب قد انتقل الآن إلى المجاهرة بالعداوة الحضارية والدينية للإسلام نفسه، بدلا من معاداة الدول الإسلامية أو الجماعات الدينية، وذلك حينما أحس أن أقنعة دعاوى الحريات وحقوق الإنسان التي كان يغري بها أبناء المسلمين قد تحطمت وانكشف أمرها. وقد ترتب على ذلك جرأة غير معهودة في المطالبة بأن تغير الدول الإسلامية مناهج تعليمها، وطرائق تفكيرها، وتعيد النظر في نظم حكمها وإداراتها، وفيما تقبله وما لا تقبله من سلوك الناس فيها، وتغير نظرتهم إلى المرأة ومعاملة الأبناء؛ ليتلاءم هذا كله مع الحضارة الغربية التي يأمل هو غلبتها، ودمج

المسلمين فيها إلى حد الذوبان، وأكد بأن السياسة الغربية في الشرق الأوسط تقوم على إضعاف المسلمين ... وفي إسلامهم وبالذات.

وأما **التحدي العسكري السياسي** فذكر حفظه‌الله بأن الأصل فيه أن آيات العفو والحسنى تذكر في وقت السلم والوئام، وآيات القتال تذكر عندما يكون الوقت مشحونا بنذر العدوان، ولا تنوب هذه عن تلك،ولا تعطل تلك هذه. وأن من الخطأ أن يلام المجاهدون في سبيل تحرير أوطانهم من المحتل الأجنبي بدعوى تعطيل جهادهم للعمل من أجل السلام. وأشار إلى أن **أعمال الجهاد يتحمل تبعة القيام به أولو الأمر، وتؤدي واجبها فيه الدول، ولا يجوز للأفراد ممارسته أو التجمع للمساهمة فيه**، إلا إذا قعدت الدول أو عجزت عن أدائه.

وأما **الجانب الثقافي** من **التحدي العسكري** فذكر بأنه من مسؤولية العلماء والدعاة والمفكرين، ومهمتهم هي إيقاظ الأمم من غفوتها وإنهاضها من كبوتها. وذكر بأن الفكر الإسلامي الصحيح يفرق بين المقاومة المشروعة للمحتل الغازي، وبين تعمد الاعتداء على المدنيين والمسالمين.

وضمن التحديات الكبيرة ذكر المحاضر –وهو من الخبراء في القانون– أن الموقف الذي يعلنه الغرب في مجمله –مع استثناءات– هو موقف عداء ورغبة في الاستئصال لا للمسلمين فقط، وإنما للإسلام نفسه. وأن ادعاء الغرب بأن المسلمين هم الذين هاجموا الحضارة الغربية في عاصمتيها الأمريكيتين: واشنطن ونيويورك فيما عرف بأحداث ٩/١١ هي كلمة باطل يراد بها باطل. فلم يقدم أحد دليلا مقبولا –حتى اليوم– على قيام ما يسمى بتنظيم القاعدة بارتكاب تلك الجرائم. **بل الدليل قائم على اكتوائنا نحن في بلاد الإسلام**: المملكة العربية السعودية، والأردن ومصر والمغرب ولبنان واليمن وغيرها بنار أفعال المنتمين للفكر المنحرف. وذكر بأن صورة الإسلام في المقررات المدرسية يساء رسمها عمدا، وثقافتنا توصف بأبشع الأوصاف عدوانا، وقد بلغ الأمر الغاية بالصور البذيئة التي نشرت عن النبي

ﷺ في بعض الصحف، وبالمسرحية العربية البذيئة التي تسمى "كنت أعمى والآن أبصرت"، والتي أنتجتها الكنيسة المصرية الأرثودكسية، وعند طولب من هؤلاء المتنطعين الاعتذار كان اتفق جوابهم بأنهم لم يفعلوا ما يوجب ذلك.

وأشار وفقه الله إلى أن هذه الإهانات تقتضي إظهار عدم الموالاة، بل وتوجب الغضب وكل ما يمكن عمله للإشعار به. وقال بأنه إذا أريد من الأمة المسلمة أن تتخلى عما اتخذته لنفسها، وتغير ما ارتضاه الله لها؛ لتتلاءم في مظهرها وجوهرها مع ما يدعونه حضارة وعولمة، فإن هذه الدعوة نفسها أكبر داع لحمل مشعل التجديد وإضاءته؛ لينير السبيل للاستمساك بقيمنا الخلقية والتربوية والأسرية والسلوكية، لتظل لنا من الخصوصية الثقافية والحضارية ما يفرق بيننا وبين غيرنا ويميزنا عن سوانا.

ونبه المحاضر إلى أن دعوات التغيير التي ترد اليوم من الغرب لا ترمي إلى إصلاح أحوالنا. كما حذر إلى أنها ترمي إلى تحويلنا إلى مسوخ لا تعرف نفسها. وأنها لا تواجَه بفكرة "حوار الحضارات" ولا "بالحوار بين الأديان"، وإنما تواجه بالجهر بالذي نؤمن به من الحق، وبالاستمساك بالذي يأمرنا به الدين، وبدعوة الناس إلى فهمه.

وختم المحاضر هذا اللقاء العلمي ببشارة المؤمنين بأن حضارتهم باقية ما داموا متمسكين بما جاء في دينهم، مجددين فيما ينبغي التجديد فيه، وأن أي حضارة لا يمكن القضاء عليها إلا حين يقبل الأضعف أن يكون مصيره الفناء، ويستسلم لغيره. كما أكد بأن نهاية التاريخ لن تكتب بفرض النمط الحضاري الرأسمالي الأمريكي على العالم بالقوة المسلحة، بل إن الحضارات التي يؤمن بها أهلها غير قابلة للفناء أصلا. وإن التاريخ حركة مداولة بين الناس لا تتوقف، ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران، ١٤٠].

كتبه: **الدكتور عبدالقاهر محمد قمر**.